

سِتَّةُ اشْخَاصٍ يَجْرُونَ عَنْ رُولْف

لِلْكَاتِبِ الْمَسْرُحِيِّ الْإِيطَالِيِّ لُوِيْجِي بَيْرِنْدَلُو
نَقَلَهَا عَنِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْدُكُورِ سَهِيلِ إِدْرِيسِ

ولد لويجي بيراندالو في جيجنتي (صقلية) عام ١٨٦٧ وتوفي في روما عام ١٩٣٦ . وبعد ان تلقى دروسه في روما وبون ، عين استاذاً في روما من ١٨٩٧ الى ١٩٢١ ، وقد كتب آثاراً تثير الفضول الشديد وتحمل طابعا انسانيا قائما بعض الشيء ، يظهر الانسان كدمية عاجزة عن ان تعرف نفسها . وقد عالج بيراندالو الرواية ، ولكنه اشتهر بالمرحلية ، ومن اوفر مسرحياته ذبوعا و عقل الآخرين (١٩١٣) و « لكل حقيقته » (١٩١٧) و « هنري السابع » (١٩٢٢) . وقد نال بيراندالو جائزة نوبل عام ١٩٣٦ .

على ان اشهر مسرحية له واوفرها حظا من الابتكار واثارة الفضول ونفاذ الفكرة وروعة الحوار هي هذه التي تقدم ترجمتها الكاملة فيا يلي لتقاريء العربي . ونشر في هذا العدد القسم الاول من المسرحية ، على ان ننشر تتمتها في العدد القادم .

المكان هنا مظلم كأنه فرن (ينظر حوله ، متجهماً الى مدير الديكور) اضيء لي مصباحاً .
مدير الديكور (ناهضاً) - حسناً يا سيدي المدير ، بعد لحظات .
(يخرج . بعد لحظة ، حين تبدأ التجربة ، يهبط المصباح المضاء .)
المدير - هيا بنا ، هيا بنا ، انسرع ! (للملقن)
الفصل الثاني من « لكل دوره » .
(يجلس في مقدمه . يترك الممثلون مقدم المسرح ويجلسون على الجانبين تاركين الوسط للذين يقومون بالتجربة .)
الملقن (يقرأ) - « بيت ليون غالاً . قاعة طعام - مكتب فخمة . »

المدير (لمدير المسرح) - سنبأخذ الصالة الحمراء .
مدير المسرح (مسجلاً على ورقة) - صالة حمراء . حسناً يا سيدي المدير .
الملقن (متابعا قراءته) - ... « طاولة للكتابة ، مكتب العمل تغطيه الكتب والاوراق . زف يفض بالكتب . واجهة ملأى بالصحون وبالزجاجيات الثمينة . باب في الداخل يفضي الى غرفة نوم ليون . باب الى اليسار يؤدي الى المطبخ . الى اليمين باب الرواق . »
المدير (ينهض ويشير) - واذن فنحن على استعداد ؟ هنا الدهليز ، وهناك المطبخ . (ملتفتاً الى الممثل الذي يتولى دور سقراط) انك تدخل وتخرج من هنا . (لمدير المسرح) . ستضع في الداخل طبلأ تغطيه الطنافس . (يجلس) مدير

اشخاص الرواية

الاب ، الابن ، الصني ، الأم ، بنت الزوجة ، الطفلة ، السيدة باس .
المدير ، صاحب الدور الاول ، الفتى الاول ، ممثل ، مدير المسرح ، عامل اللوازم ، الملقن ، مدير الديكور ، سكرتير المدير ، المتفجعة الكبرى ، الفتاة الساذجة ، الوصيعة ، الممثلة الاولى ، الممثلة الثانية ، حاجب .
الحادثة تجري على خشبة مسرح ، في اثناء النهار .
ملاحظة : الملهاة لا مشاهد لها ولا فصول . يُقطع التمثيل مرة اولى دون ان يسدل الستار حين ينسحب المدير ورئيس الاشخاص ليضعوا السيناريو . ويجلي الممثلون المسرح في الوقت نفسه . ويقطع التمثيل مرة ثانية حين يسدل مدير الديكور الستار خطأ .

بيراندالو « لكل دوره » التي تعلم عنها لوحة التجربة . بعضهم يتجه نحو مقصورتهم ، وآخرون بينهم الملقن الذي يمك كتاباً صغيراً تحت ذراعه ، يقون على المسرح . اما الباقيون ، فيجلسون جماعات ، متبادلين بعض العبارات ، متصفحين جريدة ، مستمدين دورهم .
يصل المدير ، فينتجه نحو طاولته . يقدم له سكرتيره البريد : يضع صحف ، مخطوطة محزومة ، رسالة يفضها ويقرأها بسرعة .
في هذه الاثناء ، يكون الملقن قد اتخذ مكانه في مكنته ، وأضاء مصباحاً الى يمينه . يبسط الكتاب الصغير امامه)
المدير (رامياً بالرسالة على الطاولة) - إن

(حين يدخل النظارة القاعة ، يجدون الستار تفعماً ، والمسرح كما هو في اثناء النهار ، دون ما لات ولا ديكور ، خالياً غارقاً في ظلام شبه تام .
ب منذ البدء ان يقوم الشهور بان التمثيل غير يأ . غطاء علبة الملقن الى يمين المكمن . والى مار مكمن الملقن ، في مقدم المسرح ، تقوم اولة ومقدم متجه الظهر الى الجمهور ، وكلاهما مدير . وطاوتان اخريان ، احدهما كبيرة الاخرى اصغر تحيط بها بضعة كرسي ، كما لو انت كلها . من اجل مراجعة الرواية للتجربة .
يدخل من باب الكواليس ممثلو الفرقة ، رجالاً نساء ، ازواجاً او فرادى ، وفق هوام . وم لية او تسعة ، اي العدد اللازم لتمثيل ملهاة

المسرح (مسجلاً على ورقته) حسناً يا سيدي المدير .
الملقن - « المشهد الاول . - ليون غاللا ،
غيدو فينازي ، فيليب المدعو « سقراط » .
(للمدير) هل ينبغي لي ان اقرأ الارشادات
المشدية ؟
المدير - طبعاً . لقد قلت لك ذلك مئة مرة .
الملقن (قارئاً) - : « عند رفع الستار ،
يبدو ليون غاللا يرتدي وزرة بيضاء وطاقيّة طبياخ
وهو يخفق بيضة في كمية من الشوكولا بواسطة
ملققة . فيليب يرتدي هو ايضاً ثياب طبياخ ويفعل
مثله . غيدو فينازي يستمع جالساً . »
صاحب الدور الاول - استميتك العذر ، هل
من الضروري الذي لا مفر منه ان اضع طاقيّة
الطبياخ هذه ؟
المدير - طبعاً ما دام ذلك مكتوباً . (يشير
الى الكتاب) .
صاحب الدور الاول - ولكن هذا مضحك
الى ابعد حد !
المدير (ناهضاً بغضب) مضحك ! مضحك !
ماذا تريدني ان افعل ان اصحنا لا تأتينا من فرنسا
بعد اية مسرحية جيدة ، وان اصبحنا مضطرين
الى تمثيل مسرحيات ليبراندللو لا تفهم منها كلمة
واحدة . ويبدو ان مؤلفها انما تمتم كتابتها
ليسخر بي وبك وبالجمهور (يضحك المثلون ،
ويقرب المدير من صاحب الدور الاول .) نعم
يا سيدي ، ستضع طاقيّة الطبياخ هذه ! نعم يا سيدي ،
وستخفق هذا البيض ! لملك تصور نفسك بهذا
البيض وانت تمثل مسرحية كسائر المسرحيات ؟
وإذن فلا نتخضع بعداً انك تمثل قشرة البيض الذي
تحفقه الآن ! (يعود المثلون الى الضحك ،
ويتبادلون تعليقات ساخرة .) سكوت . ارجوكم
ان تستمعوا الى حين اتولى شرح شيء ما . (لصاحب
الدور الاول) إن العقل صدف فارغ اذا لم تملأه
الغريزة العمياء ! انك انت تمثل العقل ، وزوجتك
تمثل الغريزة في « لكل دوره » ، ودورك هو ان
تكون انت دميّك بالذات ... هل فهمت ؟
صاحب الدور الاول (متشابك الذراعين) -
اتريد الصراحة ، لا !
المدير (عائداً الى مكانه) . - الا تفهم ؟
حسناً ! وانا ايضاً لا افهم ... لتتابع . لتتابع .
ستكون صفة جميلة (بصوت منخفض) ارجوكم ،
قفوا جيئداً . مع غرابية هذا الحوار ، ان لم
يسمكم الجمهور ، فهناك الطامة الكبرى (صافقاً يديه)
هيا بنا ، هل نحن على استعداد؟ لتتابع ... لتتابع .
الملقن : استميتك العذر يا سيدي المدير ،

هل تسمح لي بأن اضع الفطاه على الممكن ؟ إن
مجرى الهواء فضييع .
المدير : طبعاً ، طبعاً . افعل ما تشاء .
(في هذه الاثناء ، يدخل حاجب المسرح من
باب الكواليس ، ويتقدم متملاً على رؤوس اصابعه
دائراً حول الممثلين ويرفع قبعته المزينة بشريط
فيقترب من طاولة المدير . وبينما هو يفعل ذلك
يدخل الاشخاص الستة ايضاً ويقفون بالقرب من
الباب . وحسين يعلن الحاجب مقدمهم للمدير ،
يكونون قد اصطفوا في اقصى المسرح حيث يبدو
ان شعاعاً غريباً كأنه يشع منهم يحيط بهم منذ
ظهورهم ولا يكاد يبين ، كأنما هو بخار خفيف
لحقيقتهم الوهمية .
وما يلبث هذا الشعاع ان يتلاشى حين يتقدمون
ليتلوا بالممثلين . على انهم يحتفظون ببعض ما يميز
العلم من تغير وعدم صلاحية ، ولكن ذلك لا يؤثر
اي تأثير في الحقيقة الرئيسية لأشكالهم وتعبيرهم .
الاب في الخمسين من عمره ، أحمر الشعر
قليله وإن لم يكن اصلع ، ذو شاربين صغيرين
كثيفين يغطيان فماً لا يزال نضراً تطيف به بين
لحظة واحرى بسمة خائفة فارغة . اقرب الى
السمنة ، اصفر الوجه عريض الجبين ، ذو عيّن
زرقاوين مستطيلتين ، حيتين ناهذتين ، « بنطلون »
مشرق اللون ، وسترة داكنة ، يعبر تارة بعدوبة ،
وتارة اخرى بنبرات مرة قاسية .
اما الام فتبدو رازحة تحت عب مريع من
الحجل والعياء . ترتدي خماراً كبيراً لارهل وثوباً
متواضعا اسود . حين ترفع خمارها ، يظهر وجه
ليس هو وجهها متألماً وانما هو منمقع . عيناها
دائماً مطرقة ان .
واما بنت الزوجة ، ففي الثامنة عشرة ، مدعية
متفطرسة تقريبا . انها جميلة جداً . ثوب حداد ،
ولكنه اتيق اناقة صارخة . تعامل بنفاد صبر
الصبي . (في الرابعة عشرة ، خجول محزون وشارد
تقريباً) ولكنها تظهر بالمعكس حناناً بالغا لأختها
الصغيرة الطفلة (اربع سنوات ، ثوب ابيض ذو
نطاق اسود) .
واما الابن ، ففي الثانية والعشرين ، طويل ،
متصلب في وقفة احتقار مكبوت للأب . ولا مبالاة
غاضبة تجاه الام . بيدي ما يفهم منه انه انما وجد
هناك ، على المسرح ، بالرغم منه .)
الحاجب (وقبعته في يده) - استمع حضرة
المدير عذراً ...
المدير (قافزاً بانتفاض وسوء ادب) -
ماذا هناك ؟

الحاجب (بخجل) - انهم هؤلاء السادة
والسيدات ... يريدون ان يتحدثوا الى حضرة
المدير .
المدير (غاضباً) - ولكننا الآن في اثناء
التجربة . وانت تعرف مع ذلك انني ارغب في
الهدوء أثناء التجارب ...
(يلتفت نحو الداخل) - ماذا تريدون ايها
السادة ؟
الاب (مقرباً يتبعه سائر الاشخاص قافقين)
نعم ... يا سيدي ... اننا نفتش عن مؤلف ...
المدير (نصف دهش ، نصف مقبض) - مؤلف ؟
اي مؤلف ؟
الاب - اي مؤلف كان يا سيدي .
المدير - ليس عندنا ادنى مؤلف هنا ...
وليس عندنا مسرحية جديدة نجرها .
بنت الزوجة (بحيرة ومرح) - هذا احسن
يا سيدي ، احسن . بوسعنا ان نكون
مسرحيتك الجديدة ...
المثلون (ضاحكين فيما بينهم) - بم تهرف ؟
الاب (لبثت الزوجة) - طبعاً ... ولكن ان
لم يكن ثمة مؤلف ؟ (للمدير) إلا اذا وافقت
يا سيدي المدير على ان تكونه انت نفسك .
المدير - انت تمزح .
الاب - على الاطلاق يا سيدي . اننا نحمل
لك مأساة .
بنت الزوجة - اجل ، نستطيع ان نؤمر
لك ثروة عظيمة .
المدير - آه ... نعم . إذن ، ففي انظار
ذلك ، هل لكم ان تحققوا لي رجاء ؟ اغربوا
من هنا ... ليس عندنا وقت تضييعه مع مجازين ..
الاب (مجروحاً ، ولكن مترققاً) - اوه .
يا سيدي . انك مع ذلك تعلم كما اعلم ان الحياة
ملأى بالعبث الذي قد يبلغ به العناد الاستمرار
حداً يجعله غير محتمل . او تدري لماذا ، يا سيدي
المدير ؟ لأن هذا العبث حقيقي .
المدير - ولكن بأي شيء تهذي يا الهي ؟
الاب - اقول يا سيدي ان الجنون هو
البحث عن المحتمل ، بحجة الإيهام بالحقيقي . وإن
هذا الجنون ، واعذرني لتنبهي اباك ، هو السبب
الوحيد لوجود مهنتك .
(المثلون يمتحنون)
المدير (ينهض ويحدق اليه) - آه . صحيح .
إن مهنتنا تبدو لك مهنة مجازين !
الاب - يا الهي . إن منح مظهر الحقيقي لما
ليس حقيقياً على الاطلاق ... وهذا يا سيدي

دون ما ضرورة ، والمجرد التمثيل ... وأيا ما كان ، أليست مهنتكم هي إحياء شخصيات خيالية على المسرح ؟ نعم ام لا ، اني ...

المدير (مقاطعا اياه ، وقد اثاره غيظ الممثلين المتزايد) - وانا ارجو يا سيدي العزيز ان اذكرك بأن مهنة الممثل على غاية الرفعة والنبيل . واذا لم يكن مؤلفو اليوم يعطوننا إلا مسرحيات بليدة للتمثيل ولا يبدون للعالم إلا دمي ، بدلاً من ان يخلقوا شخصيات انسانية ، عميقة الانسانية ، فهذا لا يمنع ان نفخر باننا قد أحيينا هنا ، على هذه الألواح ، آثاراً خالدة .

(يقر الممثلون المدير على كلامه ويصفقون له مسرورين)
الأب (مقاطعا اياه بثورة) - هذا صحيح تماما . انكم تعيشون كائنات حية ، اكثر حياة من كائنات تنفّس وتجد احياءها في السجلات المدنية . كائنات ربما كانت اقل حقيقة ، ولكنها اكثر واقعية ... اننا في ذلك على اتفاق ...

(الممثلون يتبادلون النظرات مندeshين)
المدير - ولكن كيف ذلك ؟ لقد بدأت بالقول ان ...

الأب - اسمح لي ... اني احببك . لقد قلت انه ليس لديك وقت تضعيه مع المجانين ، ومع ذلك فليس من يعرف خيراً منك ان الطبيعة تعتمد الى الخيال الانساني لتتابع على صيد اسمي عملها الخلاق .

المدير - هذا صحيح تماما ! ولكن الى اي شيء تقصد ؟

الأب - الى لا شيء يا سيدي ! انما اردت ان ابرهن لك فقط بان المرء يولد للحياة تحت الف مظهر وبالف شكل . قد يولد شجرة او حصة او جرة او فراشة ... او امرأة . وقد يولد ايضا ممثل مسرح .

المدير (بدهشة مصطنعة مائة سخرية) - وهن تراك ، مع صبحك هؤلاء ، قد ولدت أشخاص مسرح ؟

الأب - بالضبط يا سيدي المدير . وكلنا احياء كما ترى .

(المدير والممثلون ينفجرون ضاحكين ، كما لو انهم سمعوا نكتة طريفة)

الأب (منزعجا) - يؤسفني ان اسمكم تضحكون هكذا ... اردد لكم اننا نحمل في نفوسنا مأساة والواقع ان بوسمكم ان تدرکوا ذلك من مشهد هذه السيدة التي ترتدي ثياب الحداد . المدير (فاقداً صبره وإعصابه) - اوه ...

بمحبنا ذلك! أخلوا لنا المسرح (الى مدير المسرح) ارجوك ... اعمل على اخلاء المسرح . مدير المسرح (مطيعا) - هيا تفضلوا بالخروج (يدفعهم نحو المخرج)

الأب (مقاوماً) - لا ، لا . استمعوا لي .. نحن ..

المدير (صائحا) - ونحن .. نحن .. هنا لنشتغل . صاحب الدور الاول - ليست الاستجابة لمثل هذه المضحكات شيئاً مسموحاً به !

الأب (عازماً يتقدم) - ان ارتيابكم ليدهشني حقاً .. الم تمودوا انتم الممثلين ان تعيشوا في انفسكم الاشخاص الذين يخلقهم مؤلف ، فتنصبوا بعضهم ضد بعض ؟ انكم تترددون امامنا لان كتيب الملقن لا يحتوي ..

بنت الزوجة (تتقدم من المدير باسمه مثيرة) - تأكد يا سيدي المدير انك امام ستة اشخاص لهم اهمية كبيرة ، بالرغم من انهم تأخرون ..

الأب (مبعداً اياها) - نعم ، تأخرون اذا شئتم (للمدير) واليكم التفصيل : ان المؤلف الذي اعطانا الحياة لم يشأ او لم يقدر مادياً ان ينجز وضعنا في العالم ، في عالم الفن .. وكان هذا جريمة . إن من يحظى بان يولد بطلاً - بطل مسرح - حياً ، يستطيع ان يضحك من الموت . انه خالد . ان الرجل ، الكاتب الذي هو اداة الخلق ميت لا محالة ، اما مخلوقه فلن يموت ابداً . ولا حظوا بعد انه ، لكي يعيش سرمدياً ، ليس بحاجة الى مواهب عجيبة ولا الى اقرار المميزات . من كان سانشو بانسا ؟ ومن هو دون ابونديو ؟ ومع ذلك فانها سيعيشان الى الابد ، لأنها بذرتان قبلدان للحياة اسمدهما الحظ بقاء ارض خصبة تمحضت بها وغذتها ، واعطتها الحياة الخالدة !
المدير - كل هذا جميل .. ولكن الى اين تريد ان تنهي ؟

الأب - نريد ان نعيش ، يا سيدي المدير . المدير (بسخرية) - الى الابد ؟
الأب - كلا يا سيدي ، وانما فترة على الاقل ، فيكم .

ممثل - تباً لك !
المتفجعة الكبرى - يريدون ان يعيشوا فينا !
البطل الشاب (مشيراً الى بنت الزوجة) - اني اقبل بكل ترحاب ، ان كان ذلك للعيش معها !
الأب - افهموا جيداً : ان المسرحية تحتاج الى تأليف . (للمدير) ولكن اذا وافقت انت وممثلوك ، فان باستطاعتنا فوراً ان نضعها بالنشاور . المدير (مفيظاً) - ولكن باي شيء تريد ان

نشاور . اننا هنا نقرأ مسرحيات . ،
الأب - من اجل هذا بالضبط اتينا للقائكم .
المدير - اين مخطوطتكم ؟

الأب - انها في اعماقنا يا سيدي المدير (الممثلون يضحكون) ان المأساة في انفسنا ؛ اننا نحن المأساة واننا شديدو الشوق لتمثيلها استجابة للمحافظة التي تغلي في انفسنا .

بنت الزوجة (بلهجة احتقار وفتنة ماجنة) آه ! لو انك يا سيدي تعرف عاطفتي .. عاطفتي له . (توميء الى الاب وهي تشير اشارة المانقة ، ولكنها تفجر بضحكة صاخبة)

الإب (غاضباً) - انت ، ابق في مكانك في الوقت الحاضر ! وارجوك ان تكفي عن الضحك . بنت الزوجة - آه .. ليس لي الحق في ان اضحك .. حسنا ايها السادة .. بالرغم من اني لست يتيمة الا منذ شهرين ، فانظروا كيف احسن الغناء والرقص !

(تبدأ رقصة « انتبهوا الى تشوتشن تشو » من موسيقى ديف ستهير وقد حولها فرانسيس سالابير الى فوكس تروت او وان ستيب بطيء ، وتغني المقطع الاول وهي تصاحبه بخطوة راقصة)
الصينيون شب الحبيث
من شائقاي الى بكين
لقد وضعوا لوجات في كل مكان
انتبهوا الى تشوتشن تشو .

الممثلون والممثلات (يصفقون) - هذا رائع .. برافو .. ممتاز !

المدير (غاضباً) - سكوت ! الكأنا في مقهى بلدي ! (متحمياً بالاب جانبا من المسرح ، بقايل من التبرم) قل لي هل هي مجنونة ؟

الأب - مجنونة . يا ليت .. انها اسوأ من ذلك !
بنت الزوجة (مقاطعا اياه ومتوجهة للمدير) -

اسوأ من ذلك ! اسوأ من ذلك ! نعم يا سيدي المدير . اسوأ من ذلك ! اصغ الى ارجوك . دعنا نقتل مأساتنا فوراً .. فسترى في لحظة من اللحظات ما الذي افعله (تأخذ بيد الطغلة التي هي واقفة بجانب الام وتدنوها من المدير) يا حبيبي ، يا حبيبي (تأخذها بين ذراعها وتضمها اليها) هذه الحبيبة المسكينة الصغيرة .. كم هي جميلة ! (تريحها على الارض وتضيف على مريض ، وهي مضطربة متأثرة) ستري كيف ان الله ينتزع هذه الطفلة الحبيبة من ذراعي امها فجأة ، وكيف ان هذا الابله (تدفع الصبي الى الامام وهي تجذبه من كفه بقسوة) سيرتكب اكبر الحماقات ، هو المتوه .. (تدفعه مرة ثانية بوحشية نحو الام) ..

سترى حينذاك اذا كانت الحماسة ستأخذني ! نعم ..
الحماسة، الحماسة يا سيدي .. ما اشد شوق اليها .
اجل .. بعد ما حدث بيني وبينه (توميء الى
الاب بنظرة مريفة) على صيد مفروق في صميمته ..
التي بت لا اطيق ان ارى نفسي وسط هؤلاء
الناس ، ولا ان اشهد تعذيب امي ، بسبب خطيئة
هذا الابله الكبير (تشير الى الابن) انظروا
اليه لا مباليا مثلنا ، لأنه الابن الشرعي .. يتلي
احترافاً لي ، من اجل هذا (تشير الى الصبي)
ومن اجل هذه الصغيرة الحبيبة ، لأننا نحن اولاد
زنى . انهم . اولاد زنى (تقترب من الام
وتماقها) .. وهذه الام المسكينة ، التي هي امنا
نحن الاربعة ، لا يريد ان يعتبرها امه ، فينظر
اليها من فوق الى تحت كما لو انها ليست الام
ثلاثة ادعاء .. نذل !

(هذا المقطع يقال كله بسرعة بلهجة احتياج
شديد . وبعد ان تكون بت الزوجة قد
القت بملء صوتها كلمة « اولاد زنى » تنطق
الكلمة النهائية « نذل » بصوت منطقي ، كما لو
انها تصفها) .

الام (بضيق شديد للمدير) - يا سيدي ،
باسم هذين المسكينين ابتهل اليك .. (يتعريها
ضعف) .. اوه ! يا الهي !
الاب (يساندها والمثلون يساعدهون) -
بالله عليكم ، ايتوني بكربي ، كرسي لهذه الارمل
المسكينة ..

المثلون (متسارعين) - لقد كان هذا اذن
صحيحاً . انها يغمى عليها حقاً .

المدير - هيا ، اعطوه كرسياً .
(يجمل احد الممثلين كرسياً ، بينما يحيط
الباقون ، وهم ممثلون رغبة بالمساعدة ، بالام الجلاسة
التي تحاول ان تمنع الاب من ان يرفع الغلالة التي
تغطي وجهها)

الاب - انظر اليها ، يا سيدي ، انظر اليها ..
الام - لا ، لا .. حسبك ، ارجوك ..
الاب - بلى ، دعهم يرونك (يرفع الغلالة)
الام (ناهضة ، مغطية وجهها بيديها بيأس) -
ابتهل اليك يا سيدي ... امنعها من ان تنفذ
مشروعها . ان ذلك سيكون شديد الترويع لي .
المدير (دهشاً) - بت لا افهم شيئاً ...
(للأب) هل السيدة زوجتك ؟

الاب - تماماً ، يا سيدي ، انها زوجتي .
المدير - لماذا تقول اذن انها ارمل ، ما دمت حيا ؟
(المثلون ينفجرون بالضحك ، كأنهم قد
تعزوا)

الاب (متزعجاً ، وبمرارة) - امنعكم من
ان تضحكوا ... بالله عليكم لا تضحكوا
هكذا ... هنا تكن مأساة هذه المرأة ، يا
سيدي المدير ... لقد كانت لرجل سواي ...
رجل آخر كان عليه ان يكون هنا !
الام (في صرخة) - اوه .. كلا .. كلا ..
بت الزوجة - من حسن حظها انه مات مند
شهرين ، كما قلت لك . ونحن لا نزال نلبس عليه
الحداد ، كما ترى .

الاب - لئن لم يكن هنا فليس ذلك لأنه قد
مات . انه ليس هنا .. انظر هذه المرأة يا
سيدي ، ارجوك ، تنهم على الفور لماذا . ليست
مأساة هذه المرأة انها قد احبت رجلين . انها لم
تكن جدية بحب كبير . لعل كل ما كانت تشعر
به ، بعض عرفان الجميل ، لاني ، وانما للآخر .
انها ابست عاشقة ، وانما هي ام ! وان مأساتها ،
مأساة عظيمة يا سيدي ، عظيمة ! - هي انها
رزقت بالاولاد الاربعة الذين ترام هنا ، من
الرجلين اللذين كانا رجلها .

الام - رجلاي ! اديك الشجاعة لتقول ان
هذين الرجلين كانا لي ، كما لو اني انا التي
احذتها ؟ .. انه هو الذي اعطاني للآخر ،
بالقوة ! لقد اجبرني على ان اذهب معه .

بت الزوجة (بغيظ) - ليس هذا صحيحاً .
الام (متبرمة) - كيف ، ليس هذا صحيحاً ؟
بت الزوجة - ليس هذا صحيحاً ، ليس هذا
صحيحاً !

الام - وما يدريك من ذلك ؟
بت الزوجة - ليس هذا صحيحاً ! (للمدير)
لا تصدقها ! اتدري لماذا هي تتكلم كذلك ؟
(مشيرة الى الابن) بسببه هو ! انها تتأكل ،
تعذب نفسها بسبب هذا الابن ، ابنا الاكبر .
وهي تريد ان تقنعه بانها اذا كانت قد تركته
حين كان لا يزال في الثانية من عمره ، فانما كان
ذلك لأن هذا (مشيرة الى الاب) قد قسرّها
قسراً .

الام (بقوة) أشهد الله انه قسرني على ذلك
قسراً ! (للمدير) اسأله (مشيرة الى الزوج)
ان كنت اكذب ! دعه يعترف ! (مشيرة الى
ابنتها) انها لا تستطيع ان تعرف من ذلك شيئاً .
بت الزوجة - اعرف انك كنت سعيدة كل
السعادة مع ابي طوال حياته . قولي العكس ان
كنت تجرؤين !

الام - اني لا اقول العكس ..
بت الزوجة - لقد كان شديد الحب لك

والاعتناء بك (للصبي بغضب) ولكن قل ان
هذا صحيح ، تكلم قليلاً ، ايها الابله !
الام - دعي هذا الصبي المسكين هادئاً ! لماذا
تريدين اقناع الناس باني عاقبة يا ابنتي ؟ اني لم ارد
ان اسمي الى ذكرى ابيك ، فأجبت بكل بساطة
انني لم اهجر منزلي وابني لخطأ بسببي او لرغبة مني !
الاب - هذا صحيح ، يا سيدي ، فانا الذي
اردت ذلك .

صاحب الدور الاول (لسائر الممثلين) -
ان هذا في الحق مشهد غريب !
المنفجة الكبرى - انهم يقدمون لنا مسرحية !
الفتى الاول - ان مرة لا تعني عادة !
المدير (وقد بدأ يهتم بالقصة اهتماماً حاراً)
لنر التهمة قليلاً .

الابن (مقترباً من المدير ببرودة ، هادئاً
وبسخرية) - ستري ... انه سيحدثك عن شيطان
التجربة .

الاب - انت هزاء سخيف ، وقد قلت لك
ذلك مئة مرة ! (للمدير) انه يهزأ بي بسبب هذه
العبرة التي وجدتها للاعتذار .

الابن (محقرراً) - آه ... نعم ! عبارات !
الاب .. عبارات ، عبارات ، عبارات كما لو انه ليس
ثمة بعزي جميع الناس امام حدث لا سبيل الى
شرحه ، امام مصيبة تتأكنا ، ان يجودوا كلمات لا
تعني شيئاً ، وانما تهدئنا .
بت الزوجة - ونهديء خصوصاً تبكيت
الضمير .

الاب - تبكيت الضمير ، لم اهدئه في نفسي
ببجرد كلمات .
بت الزوجة - بقايل من المال ايضاً . نعم ،
نعم ، بقايل من المال بالفرنكات المئة التي سيقدمها
لي ، ايها السادة ، على سبيل الاجرة .
(حركة ارتعاد بين الممثلين)
الابن (باحتقار ، لأخته من امه) - إن
هذا لنذالة ...

بت الزوجة - أهذه نذالة؟ لقد كانت في غلغف
ازرق ، على طاولة بلاذرية في الغرفة الخلفية لخانات
السيدة باس . لملك تعرف يا سيدي ؟ إنها احدى
هاتيك « السيدات » اللواتي يمتدبن الى منازلهن
فتيات مسكينات ينتمين لأسر طيبة ، بحجة بيع
الاثواب والمعاطف .

الابن - وإذن ، فان هذه الفرنكات المئة
التي سيدفعها لك والتي لحسن الحظ لم يدفعها لك ،
لاحظني ذلماً ، جيداً ، تعطيك الحق في ان تطفي
علينا جميعاً .

بنت الزوجة - ايه ! ذلك اني كدت حقاً
ارجمها ، كما تعلم ! (تنفجر ضاحكة)
الام (منفضة) - الاتجولين ؟

بنت الزوجة - أخجل ؟ ان هذا نأري ! آه
يا سيدي ! اني ارتمش شوقاً الى أن اعيشها ،
تلك الحادثة ! آه ! هذه الغرفة ... هنا واجبة
الماعطف ، وهناك ديوان ومرآة وستار ، وامام
النافذة الطاولة البلاذرية الصغيرة ، مع المغلف
الازرق الذي يحتوي الفر نكات المنة . اني اراه ،
ذلك المغلف ، وبوسمي ان التقطه ! آه ، ايها
السادة ، كان ينبغي لكم الاتنظروا ... انتي شبه
عارية ... بت لا احمر خجلاً ، لأنه هو الذي
يحمر الآن (تشير الى الاب) ولكني اؤكد
لكم انه كان متقع اللون ، ممتعاً جداً تلك اللحظة !
(للمدير) بوسمك ان تصدقني يا سيدي !
المدير - الحق اني لا افهم بعد .

الاب - اعتقد ذلك ، ما دمت تقصف هكذا
من جميع الجهات ! اطلب بعض النظام في الرواية
يا سيدي ، ودعني اتكلم من غير ان اهم بالخزري
الذي تحاول هي ان تلحقه بي بمثل هذه القوة ، دون
ان تتيح لي ابي توضيح او تفسير .

بنت الزوجة - لا ، لبس هذا مجال رواية
شيء على الاطلاق .
الاب - لا اريد ان اروي ، وانما اريد
ان اشرح .

بنت الزوجة - نعم ، على طريقتك .
الاب - الحق ان المصيبة كلها آتية من هنا .
انها في الكلمات . ان لنا جميعاً عالماً في انفسنا ،
وهو عالم مختلف لكل منا . فكيف نستطيع ان
نتفاهم ، يا سيدي ، اذا كان للكلمات التي انطق
بها معنى وقيمة بالنسبة الى العالم الذي هو في نفسي ،
في حين ان الذي يسعني يعطينا من غير شك معنى
وقيمة بالنسبة الى العالم الذي يحمله في نفسه ؟ يخيل للناس
انهم منفاهمون ، وهم غير متفاهمين إطلاقاً ! انظر
مثلاً (يشير الى الام) ان شفقتي ، كل شفقتي
على هذه المرأة ، قد فسرت من قبلها على انها
اشد القساوت واكثرها افتراساً .

الام - ولكن ما دمت قد طردتني ؟
الاب - اتسمعا ؟ انها تقول « طردتني » ،
لقد ظنت اني طردتها !

الام - انت ... انت تعرف ان تتكلم .
اما انا فلا اعرف ... ولكن بوسمك ان تصدق
يا سيدي انه بعد ان تزوجني ... ولماذا تزوجني ؟
لم اكن الا فتاة مسكينة متواضعة .
الاب - الحق اني انما تزوجتك لتواضعك ،

كنت احب فيك تواضعك ، ظناً مني (يكف عن
الكلام ازاء انكار الام ، ويفتح ذراعيه في حركة
يأس ، ازاء امتناعها عن فهمه ، ويتجه نحو المدير)
لا ؟ إنك ترى . انها تقول لا . ان صمها ،
صمها الفكر كيري مربع . اما القلب ، فان لها قلباً ،
نعم ، من اجل اولادها ! ولكننا صماء ، يا سيدي
ان عقلا صم ، اصم صمماً موثقاً !

بنت الزوجة - ولكن قل ايضا الآن ماذا
افدنا من ذكاته العظيم ؟

الاب - اوه ! ليت بالامكان التنبؤ بكل الشر
الذي يمكن ان يولد من الخير الذي نحسب اننا
نفعله !

(المتفجعة الكبرى تعضب اذ ترى صاحب الدور
الاول يغازل بنت الزوجة ، فتتقدم وتسال
المدير)

المتفجعة الكبرى -- عفواً يا سيدي المدير ،
هل سنمضي في التجربة ؟

المدير - نعم ، نعم . ولكن دعيني اسمع الآن .
الفتى الأول - ان هذا وضع جديد تماماً .
الفتاة الساذجة - وضع مهم جداً !

المتفجعة الكبرى (ناظرة شرراً الى صاحب
الدور الاول) - للذين يهتمون به ...

المدير (للاب) - ينبغي ان تشرح لي الاشياء
بوضوح . (يجلس)

الاب - حسناً ! هذه هي القصة ! كان ممي يا
سيدي المدير رجل مسكين هو مستخدم ،
سكرتيري ، كائن مثليء اخلاصاً ، متفاهم حول
كل شيء مهمما (يشير الى الام) اوه ! دون
التفكير بالشر طبعاً . كان طيباً ومتواضعا ، مثلاً .
كلاهما غير جدير بارتكاب الشرا حتى بالتفكير به .
بنت الزوجة - وكان هو الذي فكر بالشر
لها ، وارتكبه !

الاب - هذا خطأ . لقد اردت خيرها ،
وخيري انا ايضا ، واعترف بذلك ! وقد بلغ بي
الامر ، يا سيدي ، اني لم اكن استطيع ان
اقول كلمة لاحدهما حتى اراهما يتبادلان نظرة
ذكية ! نعم ، كانا يتشاوران بالنظر ليعلم كيف
يجسن ان يتلقيا ما افولهما كيلا يفيضان . ولكنك
تدرك جيداً ان هذا كان يكفي لاثارة حنقي ،
ولدفمي الى حالة من الغيظ لا تختمل .

المدير - ولماذا لم تطرد سكرتيرك ؟
الاب - الواقع اني طردته ، فرأيت اذ ذلك
هذه المرأة المسكينة تتيه في بيتي كالحيران الضائع ،
كأحد هذه الحيوانات التي لا مالك لها ، والتي
يلتقطها الناس بدافع من إحسان .

الام - ايه ! انك صادق تماماً !

الاب (ملتفتاً نحوها ليستدركها سوف تقوله) -
ستتحدثين عن ابنك ، اليس كذلك ؟

الام - اجل يا سيدي ، لقد انتزع مني ابني ...
الاب - طبعاً ... ولكن لم يكن ذلك بدافع
قسوة ، وانما من اجل ان يكبر ويتعرع قويا
سليماً في الاتصال بالارض ...

بنت الزوجة (مشيرة الى الابن بسخرية) -
نتيجة طيبة !

الاب - ليس من خطأي اذا اصبح كذلك !
لقد عهدت به الى مرضع في الريف ، يا سيدي ،
الى فلاحه ... ولم تكن زوجتي تبدو لي قوية
بحيث تستطيع تغذيته ، وان كانت تنتمي الى
الشعب . انه دائماً السبب نفسه ، السبب الذي جدا
بي الى الزواج منها ؛ لعل هذا هوس عندي ،
ولكن ما حيلتي ؟ كنت دائماً انشد صحة معنوية
قوية ! (بنت الزوجة تنفجر بضحكة صاخبة) ...
ولكن اخرسوها ... ان هذا لا يطاق .

المدير - احرسي ! دعيني اسمع ! يا لله !
بنت الزوجة - حسناً يا سيدي ، ولكن الصحة
المعنوية لزبون غرفة خفية لجانوت كجانوت السيدة
باس ...

الاب - يا لك من باهأ ! هذا ما يجعلني رجلاً!
ان ما قد يبدو لك تناقضاً يا سيدي هو الدليل
الواقعي على ان امامك شخصاً حياً . والحق اني
من جراء تناقضي وصلت الى التألم كما تألم ! لم يكن
يوسمي ان اعيش بعد مع هذه المرأة ! (يشير
الى الام) ولكن صدفتي ان ذلك كان بسبب
الاسى والضيق اللذين كنت استشعرهما لها اكثر
مما كان بسبب الضجر القاتل - اجل ضجر حقيقي
خائق - الذي كان يثقل علي .

الام - ومن اجل هذا طردتني !
الاب - نعم يا سيدي ، مع كل ما كانت تحتاج
اليه . لقد اعطيتها هذا الرجل ليجررها مني .
الام - ولكي يستعيد حريته ...

الاب - اجل ، اقر ذلك ، لكي اتخلص منها .
كل المصيبة تأتت من هناك . ولكنني فعلت ذلك
وانا اعتقد اني افعل من الخير لها اكثر مما افعل
لي ، واقسم على ذلك . (مشبكاً ذراعيه تجاه الام)
قول لي : هل ابدعت عنك لحظة ، الى ان اقتادك
الآخر ذات يوم ، بالخفية عني ، الى مدينة اخرى ،
وهو مغناظ اغتياظاً بايداً من الاهتمام الذي كنت
اوجهه لك ، على الرغم من انه اهتمام نقى الى الحد
بعيد ، وانه ، صدقتي يا سيدي ، لم تكن له غاية
اخرى ؟ لقد اهتمت بالاسرة الجديدة الصغيرة

التي كانت تتعرض اهتماماً عاطفياً حنوناً (مشيراً إلى بنت الزوجة) وإن بوسهها ان تشهد بذلك... بنت الزوجة - وكيفاً كنت لا ازال طفلة، جدائي على ظهري، وسروالي يتعدى ثوبي المرتفع هكذا، فأجده وهو ينتظرني عند باب المدرسة. كان يأتي ليراقب نموي... الاب - اي غدر! إن هذا لؤم... إن هذا بشع!

بنت الزوجة - ولماذا؟

الاب - اجل انه لؤم! للمدير بلهجة شرح، سريعة. (حين ذهبت هي (مشيراً الى الام) بدا لي البيت فارغاً. هذه المرأة كانت كابوسي، ولكن حضورها كان يملأ البيت. كنت اتيه في البيت كذئابة لا رأس لها. (مشيراً الى ابنه) وحين عاد هذا الى منزلي، وكان قد ربي في الخارج، شعرت بأنه ليس هو شيئاً بعد بالنسبة لي. ولما لم تكن امه في المنزل، لتقوم صلة وصل بيني وبينه، فقد كبر وحده، على حدة، دون اية علاقة عاطفية او فكرية ممي. واذ ذاك - وهذا ما سيدولك غريباً يا سيدي، ولكنه هو الحقيقة - بدأت أشعر بالفضول، ثم بلون من الانجذاب، انجذاب حنون نحو بيت الاسرة الصغيرة التي التي شاركت في خلقها. وجعلت املاً الفراغ الذي كان يكتنفي بالتفكير بهؤلاء الاولاد. كنت بحاجة - نعم انها حاجة على وجه التحقيق - الى الاعتقاد بان هذه الاسرة كانت هادئة، مشغولة بأبسر هموم الحياة، سعيدة، خارجة وبعيدة جداً عن تعقيدات ذهني وآلامي. وانما كنت اذهب لرؤية هذه الصغيرة عند خروجها من المدرسة، لألتبس الدليل على ذلك.

بنت الزوجة - اي نعم! كان يتبعني في الطريق ويسلمني، وحين كنت ابلغ البيت، كان يجيني يده، هكذا. وكنت انظر اليه مباحة بين عيني بشراسة. لم اكن اعرف من هو. وحدثت امي في الامر، ولا ريب في انها فهمت على التو انه هو (الأم تومي برأسها ان نعم). وكفت عن ارسالي الى المدرسة بضعة ايام. وحين عدت الى المدرسة، رأيت من جديد عند الباب - وكان هذا غريباً - ومه عابرة كبيرة في يده. ودنا مني فربت على كتفي واخرج من العابية قبعة كبيرة من القش الفلورنسي مزينة باخضرة من زهور نوار... كانت القبعة لي!

المدير - اوه. ولكن... الحق انها قصص... الابن (محتقراً) - الواقع انه ادب صرف... الاب - ادب! انه الحماة يا سيدي، انه الأمل...

المدير - ربما كان هذا صحيحاً، ولكنه ليس قابلاً للتشيل... .

الاب - اني افرك على ذلك تماماً يا سيدي المدير. كل هذا يحدث قبل ان يرفع الستار. ومما لا فائدة منه ان يدرج في التشيلية (مشيراً الى بنت الزوجة) وانك لترى انها ليست هي بعد طفلة ذات جدائل متدلية على ظهرها. بنت الزوجة - ولا ذات سروال يتعدى الثوب... .

الاب - ان المساة حديثة جداً يا سيدي. انها مساة مبتكرة، معقدة، ممة الى ابعد الحدود، وبوسمك ان تؤمن بما اقول. بنت الزوجة - حين مات ابي... .

الاب - كانت الفاقة يا سيدي! هام يعودون الى هنا دون ان اعلم ذلك. وذلك بسبب بلادتها (مشيراً الى الام) صحيح انها لا تكاد تعرف الكتابة، ولكن كان بوسهها ان تستكتب ابنتها او الصغير بانهم كانوا في العوز. الأم - انك تقرني يا سيدي على اني لا استطيع ان احزر جميع هذه العواطف الرقيقة. الاب - ان تعيشتك الكبرى هي انك لم تخزري يوماً اياً من عواطفني. الام - بعد هذه السنوات الطويلة من الفراق وبعد كل ما حدث... .

الاب - هل اكون انا مخطئاً ان خطفكم هذا الرجل الطيب؟ (للمدير) كما قلت لك، لقد خطفهم بين عشية وضحاها لأنه وجد في مكان آخر عملاً ما. وقد استحال علي العثور على آثارهم، وكان طبعياً بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، ان يقل اهتمامي بهم. وانفجرت المساة يا سيدي بعد عودتهم مفاجئة عنيفة، وفي اليوم الذي اتقدت فيه، واحسرتها، الى شقاء لحمي الذي كان ما زال يحتفظ بحيماه... . آه! نعم، اي شقاء للرجل وحده الذي لا يريد ان يقبل علاقات مخزنية، الذي لم يصبح من الشيوخة بحيث يستغني عن النساء، والذي ليس بعد من الفتوة بحيث يتبهن دون ما خجل! اي شقاء، بل اي رجس!... ليس باستطاعة اية امرأة بعد ان تعطيك حبا... وان هذا، حين يدرك، كاف لأن يصر الانسان عن اية محاولة. آه! يا سيدي، ان كل انسان يظهر خارجياً امام الناس يظهر الوقار والشرف. ولكن كل انسان يعلم تماماً ما يحدث في انفسنا، مما لا يصرح به، ما ان نجدنا وحدنا مع انفسنا... انا غالباً ما نستسلم للاغراء، لتسرع بعد ذلك في الوقوف من اجل استعادة وقارنا وشرفاً كاملين صدين كحجر

على قبر، ولكي تخفي عن عبوتنا وندفن جميع الآثار، وحتى ذكرى عارنا. هذا هو شأن الرجال جميعاً! ولكن لا يملكون جميعهم الشجاعة للاعتراف بهذه الامور... .

بنت الزوجة - نعم! اما الشجاعة لارتكابها... فانهم جميعاً يملكونها!

الاب - جميع الرجال، ولكن في الحفاء، ولذلك يحتاجون الى هذا القدر الكبير من الشجاعة للاعتراف بهذه الامور. وحين يعترف احدنا بذلك، فسرعان ما يتهم بالخلاعة. والناس في ذلك مخطئون يا سيدي. انه كالأخرين، بل هو خير من الآخرين، لانه لا يخشى القاء نور ذكائه على أحر العار الذي لا تريد الحيوانية الانسانية ان تواجهه صراحة... بل انها لتغمض عينيها حتى لا ترى نفسها وهي تحم خجلها... المرأة، انك تعلم كيف تفعل المرأة: انها تنظر اليك مغرية، داعية، جاذبة، فتلتقطها! وما تكاد تشدها اليك حتى تغمض عينيها، وتلك علامة استسلامها، العلامة التي تقول للرجل: « اعم فاني عمياء! »

بنت الزوجة - وحين لا تغمض المرأة عينيها بعد؟ حين لا تشعر بالحاجة لأن تخفي على نفسها اذ تغمض عينيها، حمرة خجلها، وحين ترى، على النقيض، بين جافة عديمة الاحساس، احمرار الرجل الذي عمي دون ان يشعر بمزيد من الحب؟ آه! اي اشتزاز حينذاك من تلك التعقيدات الدماغية، من تلك الفلسفة التي تطلق الحيوان من عقاله ثم تريد ان تنفذه وتلتبس له العذر، اني لا استطيع ان افهم ذلك يا سيدي! حين يكون المرء مقسوراً، كما كنت، على ان « يبسط » الحياة بهذا الشكل الحيواني، اذ يقذف من فوق الشاطئ بمجموع الرصيد « الانساني » من الاماني الطاهرة والمواطف النقية والمثل الاعلى والواجب، ويضحي باحتشامه وخفزه، فليس هناك ما يستدعي الغضب او يثير الغيظ الا ندم من هذا النوع، دموع التماسح!

المدير - أرجوك لتأت الى الوقائع، فليس هذا كله الا نظريات... .

الأب - نعم يا سيدي، ولكن الوقائع كالأكياس، ان كانت فارغة لا تقوى على الوقوف، ولكي يقف حادث ما ويكون ذا معنى، فيبني اولاً ان تدخل فيه الدوافع والمواطف التي أثارتها. لم اكن ادري انها (مشيراً الى الام) لكي تفذي اولادها في البؤس، بعد موت هذا الرجل، ستعمل خياطة وتذهب فتطلب عملاً من... السيدة باس هذه!

بنت الزوجة - آه ! انها خياطة عظيمة ، لو كنت تدرسي ! انها في الظاهر تحمى سيدات المجتمع الرافي ، ولكنها دبرت امرها لكي تخدمها هاتيك السيدات « الرقيات » - هذا بصرف النظر عن الارباح التي تتقاضاها على السيدات الاخريات « الاقل رقباً » !

الام - ستصدقني يا سيدي إن قات لك اني لم اكن افكر لحظة واحدة بان هذه المرأة الشرسة انما اعطتني عملاً لأنها ألفت بنظرها الى ابنتي.

بنت الزوجة - مسكينة انت يا امي ! اتدري ما كانت تعمله السيدة باس هذه حين كنت اعيد لها الثوب ؟ كانت تربني قطعة النسيج وجميع اللوازم التي بذرتها اذ اعطتها الى امي لتخيطها ، ثم إنها كانت تخفض الاجرة وتخفضها وتخفضها ... واذ ذاك ، كنت انا التي ادفع ، ولعلك فهمت ، بينا كانت هذه المرأة المسكينة تحسب انها تضحي بنفسها من اجلي ومن اجل هذين الصغيرين اذ تقفي ليايها وهي تخيط اثواب السيدة باس .

المدير - وذات يوم ، التقيت هناك ...

بنت الزوجة (مشيرة الى الاب) - نعم يا سيدي ، هناك التقيت به ، على انه زبون قديم للحاتوت . سوف ترى المشهد الذي نتج عن ذلك ... انه مدهش !

الاب - ووصول امها ...

بنت الزوجة (بمكر) - في الوقت المناسب ! الاب - كلا . من حسن الحظ اني عرفت من هي في الوقت المناسب ، ولقد استقبلتهم جميعاً في منزلي يا سيدي . احسب الآن انك تفهم وضعي ووضعها ، وانك لترى موقعها هي ، وانا لا اجرؤ بعد على ان انظر اليها وجهاً لوجه !

بنت الزوجة - إنه لمعجب ! كيف تريد يا سيدي ان تستطيع بذلك ان ابدو فناءة متواضعة و « كما يجب » لأطل على انجمام مع هذه الاماني المزعومة « نحو صحة معنوية متينة » ؟

الاب - ان المأساة كما اعتقد ، هي كلها يا سيدي في وعي بأن على كل منا ان يكون « واحداً » في حين انه « مئة » بل « الف » بل « عدد من الآحاد » يساوي عدد الامكانيات التي لديه ... إنه مع هذا واحد ، ومع ذلك واحد آخر ! كل هذا وهو يوم بأنه هو بالنسبة إلى الجميع ، هذا الكائن « الواحد » الذي بحسب اننا اياه في جميع اعمالنا . والحق انه ليس ثمة ما هو اوفر من ذلك حظلاً ! ... وانسا لتلاحظ ذلك تماماً حين يحدث اشتباك او تصادم في وسط

أعمالنا ، نلاحظ اننا لم نكن بكياننا في هذا الضعف او الخور ، وان من الظلم البصاخر ان يحكم علينا عبر هذا العمل وحده وان يشهر بنا طوال الحياة ، كما لو ان حياتنا كلها تبلخص في هذا العمل وحده ! اتفهم الآن يا سيدي مكر هذه الفتاة ؟ لقد فاجأتني في مكان وفي وضع ما كان لها ان تراني فيها ؛ لقد رأيتي كما لا ينبغي لي ابدأ ان اظهر امام عينيها ، وهي تريد ان تنسب إلي هذه الشخصية التي ما كنت اتوقع ان أتلبسها من اجلها . هذه الشخصية التي كانت شخصيتي في لحظة عابرة ، مخزية من حياتي ! هذا يا سيدي ما اشعر به على الخصوص ! وسترى ان هذا سيكسب المأساة اهمية كبيرة . ولكن هناك ايضاً موقف سائر الاشخاص (مشيراً الى الابن) هناك موقفه ... الابن (هازماً كنفه باحتقار) - دعني وشأني فليس شيء يعنيني هنا ...

الاب - كيف لا يعينك شيء ؟

الابن - لا يعنيني شيء ، ولا ارغب في ان ادخل في اي شأن ... انك لتعلم تماماً اني لم أخلق لأعرض شرفي معك ...

بنت الزوجة - اه ! نعم ، نحن اناس لا قيمة لنا ، اما هو فقد خرج من صلب جوبيتر ... ولكن لعلك لاحظت يا سيدي اني كلما حدثته بنظرة احتقار ، فانه هو الذي يخفض عينيه ... انه يعرف جيداً الشر الذي أصابني به .

الابن (ناظراً اليها بطرف عينه) - انا ؟

بنت الزوجة - انت ، نعم ، انت ! الرصيف ، انت الذي قدفتني اليه ! ليس هو موقفك الذي حال دون ان تقوم في البيت لا اقول الفة حقيقية ، وانما مجرد هذا الاحسان البدائي الذي يث الاطمئنان في نفوس الضيوف وينزع من قلوبهم الشهور بأنهم تقلاء غير مرغوب فيهم . لقد كنا الدخلاء الذين اتوا يكتسحون ارض « شرعيتك » ! آه يا سيدي ، كم اود لو اطامك على بعض جلسات يبني وبينه ! هو يقول اني اردت ان اطفى على الجميع ! والحق ان موقفه هو الذي دعاني الى استعمال هذه الذريعة التي يصفها بالندالة ، هذا هو السبب الذي من اجله دخلت هذا البيت مع امي - التي هي ايضاً امه - كخاتمة .

الابن - إنه ليسهل عليهم جميعاً يا سيدي ان يهاجوني ، فان دورهم يسير . ولكن تصور ابناً يعيش هادئاً كل الهدوء في بيته ، فاذا به يرى ذات يوم فناءة واجنة تصل فأسأله ابن ابوه الذي تود ان تجربه شيئاً ، ثم يراها فجأة تعود مرة اخرى ، بهذه الهيئة نفسها ، تصحبها هذه الصغيرة ، ويسمها

تعامل اياه بطريقة غامضة عجي ، وتطلب منه مالا بلهجة يقوم معها الاقتراض بان هذا المال انما يعطيه اياها هذا الرجل وجوباً .

الاب - والحق انه كان واجبا علي . لقد كان من اجل امك .

الابن - وما كان يدبرني ، انا ؟ متى سبق لي ان رأيتها ، امي ؟ متى تحدثوني عنها ؟ لقد رأيتها تظهر يوماً معها (مشيراً الى بنت الزوجة) ومع هذا الصبي وهذه الطفلة . وقيل لي : « اتعلم انها امك ايضاً ؟ » . ولقد مكنتني تصرفاتها (مشيراً ثانية الى بنت الزوجة) . من ان ادرك بين ليلة وضحاها كيف دخلنا الى منزلنا ... آه ، يا سيدي . إن ما اشعر به ، لا يستطيع بل لا اريد ان اعبر عنه ولعل بوسعي على الاكثر ان اسر به اليك ، وانني لأتألم بما فيه الكفاية اذ اصارح به نفسي . فليس لي اذن اي دور العبه في هذه المأساة . صدقني يا سيدي انني شخص غير قابل للتحقيق على المسرح . اجل ، ليس لي ما افعله معهم ، فلأترك وشأني !

الاب - وكيف ؟ ... الحق انك بما خلقت عليه ...

الابن - اني لك ان تعرف كيف خلقت ؟ اترك اهتمامتني ؟

الاب - هذا مفهوم . وانني اقره ! ولكن اليس هو موقفا « قابلاً للسر » موقفك ذلك القاسي بالنسبة لي ، في ان تظل مبتعداً عن امك التي عادت الى المنزل العائلي والتي تراك للمرة الاولى وقد ترعرعت ، امك التي لا تعرفك ، ولكنها تعلم انك ابنها ؟ (دالاً المدير على الام) انظر اليها ، انها تبكي .

بنت الزوجة (وقد ثار بها الغضب فجعلت تضرب الارض بقدمها) - كالبلهاء !

الاب (دالاً المدير على بنت الزوجة) وهذه لا تستطيع ان تتحمل ذلك ، بالطبع ! (مستميداً الحديث عن الابن) يقول انه لا شأن له بالمأساة ، في حين انه قوام الحركة ! انظر هذا الصغير المسكين القابع بالقرب من امه خائفاً في وضع ذليل ... انه هو المسؤول عن ذلك . لعل ألم موقف هو موقف هذا الصغير ! إنه اشد احساساً من الآخرين بالفرابة ، ان المسكين ليحس بخزي قلق من ان يستقبل في منزلنا كما استقبال ، بدافع الاحسان (بمسارة) انه طبق الاصل عن ابيه . متواضع مثله . انه لا ينس بجرف ...

المدير - ليس هذا هو خير ما في مأساتكم .

فاتم لا تستطيعون ان تصوروا ما يخلفه الاولاد على المسرح من ملل .

الاب - ان هذا لن يضجرك طويلاً. وكذلك شأن هذه الطلعة . بل انها هي التي ستذهب اولاً. سوف تنحل المأساة على الشكل التالي: حين عادت هذه الام المسكينة الى بيتي فان الاولاد الذين رزقتهم خارج هذا البيت ، هذه الاسرة الاضافية اضمحلت بموت هذه الطفلة ، وانتحار هذا الصغير. وفرار الكبير . بحيث اتنا ، بعد هذه الآلام جميعاً ، نحد انفسنا نحن الثلاثة - انا والام والابن - وقد اصبحنا بزوال هذه الاسرة الاجنبية ، اجانب نحن ايضاً فيما بيننا ، في حالة فاجعة حتى الموت ... إنه الانتقام ، كما قال هذا على سبيل السخرية ، من شيطان التجربة ، هذا الذي في جلدي ، وأأسفاه ، والذي يدفعني الى تحقيق سعادة مستحيلة حين يوازننا ايمان مطلق ، ذلك الايمان الذي يجعلنا نقبل الحياة كما هي بتواضع ... إن كبريانا تدفعنا الى ان نستبدل بالحياة انفسنا ، وان نصنع للآخرين حقيقة محسبها في صالحهم ، وهي ليست كذلك ... ذلك ان لكل منا حقيقة ينبغي أن تحترم على انها صادرة عن الآله ، حتى حين تسب لنا الشر .

المدير - حسن جداً هذا الذي تقوله . انك حقاً تثير اهتمامي ، كثيراً . واني لارى في ذلك مادة مسرحية جملة ...

بنات الزوجة (محاولة ان تشترك في الحديث) - مع شخص مثلي !

الاب (مبعداً ايها ، وهو قلق لمعرفة القرار الذي سيتخذه المدير) - ولكن اخبرني !

المدير (متابعاً فكرته) - نبي مبتكر تماماً .

الاب - اليس كذلك ، يا سيدي المدير ؟

المدير - ولكنني بحاجة الى شخص عنيد يقدم لي هذا على حاله وعنقه ، بتلك الجرأة ...

الاب - انت تدرك يا سيدي ان من خلق للمسرح مثلنا ...

المدير - أأتم فانون هواة ؟

الاب - كلا ، على الاطلاق ... وانما اقول « خلقنا للمسرح » لأن ...

المدير - لا نحاولوا ان تقنعوني ، ولا سيما انت ، بانكم لم تمثلوا ابداً ...

الاب - أوكد لك يا سيدي المدير انني لم امثل ابداً إلا دوري الحقيقي او الدور الذي فرضه علي الآخرون في الحياة ، وانما هي عاطفتي نفسها التي تتخذ ، حين تستبدني الحميا ، مظهراً مسرحياً بعض الشيء ، كما هو الشأن لدى الجميع ...

المدير - لا تطل في ذلك . ولكنني احسبك تفهم ، يا عزيزي ، انه بدون مؤلف ... اسمع ، بوسمي ان ارشدك الى ...

الاب - ولكن لا .. يجب ان تكون انت نفسك ..

المدير - انك تمزح .

الاب - على الاطلاق : انت ، انت ! ولم لا ؟

المدير - لأنه لم يسبق لي ان الفت اية مسرحية .

الاب - ولم لا تبدأ اليوم ؟ إن هناك كثيرين يكتبون للمسرح ، وليس ايسر من ذلك . ثم ان مهمتك ميسرة بكوننا جميعاً احياء ، امامك ..

المدير - إن هذا لا يكفي .

الاب - كيف ولماذا ؟ انك ترانا نعيش مأساتنا امامك ..

المدير - نعم ، ولكن ينبغي ان تكتب .

الاب - لا ، وانما يسجل بكل بساطة ما سنقوله ، مشهداً بعد مشهد . بل يكفي وضع سيناريو مختصر وتطبيقه بالتجربة ..

المدير - انك تكاد تفريني .. ولأنها لتجربة تستحق ان تجرب ..

الاب - اجلس يا سيدي المدير ، وسترى المشاهد التي ستخرج منها .. ان بوسمي منذ الآن ان ادلك عليها .

المدير - انك تفريني حقاً .. سنجرب ..

تمال معي قليلاً الى مكثتي (للممثلين) بوسعكم ان تنصرفوا فترة من الزمن ، ولكن ارجوكم الا تتعدوا . فبعد ربع ساعة او عشرين دقيقة على

الاكثر سنعود (للأب) هيا بنا ، لنجرب ..

فرجما خرج من هذه القصة نبي رائع حقاً .

الاب - لا تشك في ذلك ! بل الا تحسب من الخير ان نستقسم الآخرين ايضاً (يشير الى باقي الاشخاص) .

المدير - طبعاً ! (يهيم بالخرج ، ثم يلتفت الى الممثلين) ارجوكم ، احرصوا في الموعد المعين .. (يجتاز المدير والاشخاص الستة المسرح ثم يتحدثون . يتبادل الممثلون النظرات بانهاتس) .

صاحب الدور الاول - يبدو انه جاد في كلامه ! فما هو مقصده ؟

الفتى الاول - ان هذا هراء ..

الممثل ثالث - لعله يقصد ان يدعونا الى الارتمال ، كما في السينما ..

الفتى الاول - كما في « كوميديا الفن »

المتنجة الكبرى - اوه ! اما انا فلان امثل مثل هذا الدور العجيب !

الفتى الاول - وانا كذلك

الممثل رابع (منوهاً بالاشخاص الستة)

اود لو اعلم من اين هبطوا علينا ..

الممثل الثالث - لقد خرجوا من مستشفى للمجنين ، او انهم مختلسون ..

الفتى الاول - والرئيس الذي يستمع اليهم ..

المهندس - محض غرور .. هو يجب ان انه اصبح مؤلفاً دراماتيكياً .

صاحب الدور الاول - ان هذا حقاً لطريف ..

الى اين سيذهب بالمسرح !

الممثل خامس - انني اجد هذا مدعاة للضحك .

الممثل الثالث - ايا ما كان .. سيتاح لنا ان نرى ماذا عساه يخرج من ذلك ..

(فيما يتكلم الممثلون كذلك ، يغادرون المسرح ، بعضهم من الباب الذي في الداخل ، والآخرين عائدتين الى مقصورتهم . يظل الستار مرفوعاً . ينقطع التمثيل خلال عشرين دقيقة) .

★

(التمهة في العدد القادم)

تضمّن سلامته
عينيك بتخصير
نظارتك بدقة
فنية طبقاً لوصفة الطبيب



نظارات طبية
حكمة

بمحلات
عنان الحكيم وشركاه

بيروت - السراج - تلفون : ٨١ - ٣١